عدد التأسيس
١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٦ م

مجلة ثهلان

أخبار النادي * مقالات تاريخية * مقالات ثقافية

حيث التاريخ والثقافة

HTTPS://THAHLAN.COM

عدد استثنائي - يوم التأسيس

في ذكرى التأسيس ١٤٤٧هـ

قِفْ باليمامة

في ذكرى التأسيس
١٤٤٧هـ

قِفْ بِالْيَمَامَةِ إِنْ أَرَدْتَ الْمَوْعِدَا ... وَابْعَثْ سَلَامَكَ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدَا

وَاسْتَحْضِرِ التَّارِيخَ وَاقْرَأْ هَاهُنَا ... مَجْدٌ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ تَرَدَّدَا

بَرْقٌ عَلَى شِبْهِ الْجَزِيرَةِ أَرْعَدَا ... وَأَضَاءَ فِي ظُلَمَائِهَا وَتَأَكَّدَا

وَمَحَا الضَّلَالَةَ وَاسْتَقَامَتْ بَعْدَهُ ... فَكَأَنَّمَا سُقِيَتْ بِغَيْثٍ مِنْ هُدَى

قِفْ لَا وُقُوفَ مَنَازِلٍ خَرِبَتْ وَلَا ... طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَتَقَدَّدَا

قِفْ شَامِخًا وَافْخَرْ فَأَنْتَ مُوَاطِنٌ ... فِي دَارِ عِزٍّ لَنْ تُسَلِّمَكَ الْعِدَى

فَالْيَوْمَ أَبْلَغُ مَا يُقَالُ بِمِثْلِهَا ... أَنَّ الثَّرَى فِيهَا يُسَاوِي عَسْجَدَا

وَالْيَوْمَ أَبْلَغُ مَا يُقَالُ بِأَهْلِهَا ... هِمَمٌ تَطُولُ وَلَا يُطَاوِلُهَا مَدَى

عِمْ كُلَّ دَهْرِكَ مَوْطِنًا حُفِظَتْ بِهِ ... قِيَمُ الْعُرُوبَةِ وَاحْتَوَيْتَ الْمَسْجِدَا

وَخِتَامُ ذَلِكَ مَا أَقُولُ مُجَدِّدًا ... تَسْلِيمَ مَنْ وَرِثَ الْقَوَافِيَ سُجَّدَا

قِفْ بِالرِّيَاضِ إِذَا أَرَدْتَ الْمَوْعِدَا ... وَقُلِ السَّلَامُ عَلَى الْأَمِيرِ مُحَمَّدَا

بقلم الطالب: طلال بن مشعل بن عجل

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

عبقرية التأسيس في الدرعية: حين قرأ الأمير المكان، وقرأ الإمام الدولة

بقلم : د.أحمد بن عبدالله الرسي

يأتي هذا المقال امتدادًا لورقة علمية قدّمتُها في ملتقى الدرعية الدولي 2025 بعنوان «الدرعية في الزمن الطويل: من الواحة إلى الدولة»، والتي تناولت تشكّل الدرعية في ضوء منهج الحوليات الفرنسية بالتركيز على تفاعل الجغرافيا العميقة والبنيتان الاجتماعية والاقتصادية السابقة على لحظة الدولة. ويجري حاليًا استكمال المراحل الأخيرة لنشر هذا البحث في إحدى المجلات العلمية المحكمة.

وفي البداية لا يمكن فهم تاريخ الدرعية على نحو دقيق إذا اختُزل في لحظة سياسية مفصلية، بل يُدرك حين يُقرأ بوصفه مسارًا تراكميًا تشكّل عبر زمن طويل، تفاعلت فيه الجغرافيا مع المجتمع، ونضجت فيه البنية قبل أن يظهر الحدث. ومن هذا المنظور، تبرز الدرعية نموذجًا دالًا على أن الدولة الطبيعية لا تُنشأ فجأة، بل تُستخرج من شروطها حين تبلغ لحظة النضج.

في قلب هذا المسار، تقف شخصيتان مفصليتان: الأمير مانع بن ربيعة المريدي، مؤسس الاستقرار الأول، والإمام محمد بن سعود، مؤسس التحول السياسي. ولكل منهما عبقريته الخاصة، التي لا تُفهم بمعزل عن الأخرى.

مانع بن ربيعة المريدي: تأسيس العمران بذكاء الجغرافيا:

لم يكن اختيار مانع بن ربيعة لوادي حنيفة في منتصف القرن التاسع الهجري انتقالًا عارضًا، بل فعلًا تأسيسيًا واعيًا بخصائص المكان وحدوده. فالوادي، بموارده المائية شبه المستقرة، وتربته الخصبة، وموقعه المحمي بطبيعة جبل طويق، وفّر بيئة نادرة في قلب نجد الجافة: بيئة تسمح بالاستقرار طويل الأمد.

لقد قرأ مانع خريطة جغرافية للمكان. فاختياره لم يكن بحثًا عن الوفرة المطلقة، بل عن الاستمرارية؛ عن مورد يكفي لإعادة إنتاج المجتمع عبر الأجيال.

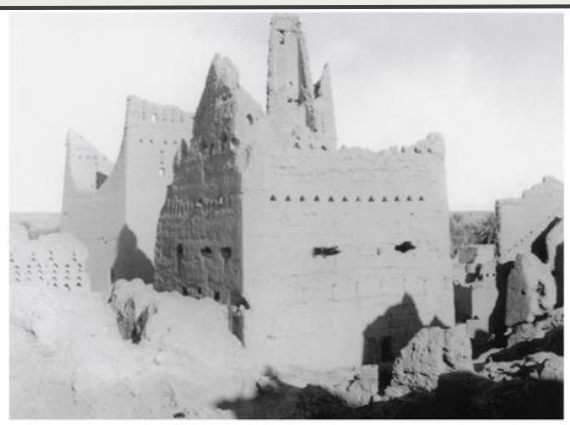

ومن هنا بدأت الدرعية مسارها الهادئ: من واحة طبيعية (الجذر البيئي) ثم إلى قرية مستقرة ثم تحولت إلى إمارة محلية ثم تطورت إلى دولة مركزية كبرى، في إيقاع بطيء لكنه متماسك.

الإمام محمد بن سعود: من الاستقرار إلى مشروع الدولة:

إذا كان مانع قد قرأ المكان، فإن الإمام محمد بن سعود قرأ المجتمع. فقد ورث مجتمعًا مستقرًا، يمتلك اقتصادًا زراعيًا-تجاريًا، وأنظمة عرفية وقضائية، ونمو تعليمي، وسلطة محلية وسيطة. وهي عناصر تدل على مجتمع تجاوز مرحلة التشكّل الأولي، وبلغ درجة من التنظيم جعلت التحول السياسي ممكنًا دون صدمة بنيوية.

لقد أدرك الإمام محمد بن سعود أن الدولة لا تُفرض على مجتمع غير مهيّأ، بل تُبنى حين تنضج البنيتان الاجتماعية والاقتصادية.

ولذلك، لم تكن قراراته السياسية قطيعة مع ما سبقها، بل إعادة تنظيم لبنية قائمة، وتحويلها من إطار محلي إلى كيان سياسي مركزي. وتفسّر هذه القراءة إمكانية تحوّل الدرعية من إمارة محلية إلى مركز دولة، نتيجة منطقية لمسار طويل سبق الحدث.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

من الحدث إلى البنية: قراءة الدرعية بمنهج الحوليات:

يُعلّمنا منهج الحوليات أن الحدث السياسي ليس بداية التاريخ، بل ذروته. فالدولة لا تولد من قرار مفاجئ، بل من تراكب طويل بين البيئة والمجتمع وأشكال التنظيم المحلي. وفي حالة الدرعية، سبقت لحظة الدولة الكبرى مرحلة طويلة من التكيّف مع البيئة، وأخرى متوسطة من التنظيم الاجتماعي والإمارة المحلية في الدرعية التي تعاقب خلالها ما يقارب عشرين أميرًا، وهو ما أسهم في تراكم الخبرة السياسية. وعليه جاءت اللحظة التأسيسية بوصفها لحظة تفعيل لبنية ناضجة.

خلاصة:

تتلخّص عبقرية التأسيس في الدرعية في كونها ثمرة تلاق استثنائي بين «ذكاء الجغرافيا» عند الأمير مانع بن ربيعة المريدي، الذي استشرف قابلية المكان للاستقرار المستدام، و«ذكاء الدولة» عند الإمام محمد بن سعود، الذي أدرك نضج البنيتين الاجتماعية والاقتصادية، فحوّلهما إلى مشروع سياسي مركزي. وبهذا المعنى لم تكن الدولة السعودية نتاج لحظة مفاجأة أو تأسيسًا من فراغ، بل ثمرة مسار تاريخي طويل اكتملت بنيته وشروطه حتى حانت له لحظة الإعلان عن مشروع تأسيس دولة كبرى في الجزيرة العربية.

يوم التأسيس: هوية تشكّلت قبل النفط

الكاتبة: نورة سعود الشمري

يعتقد البعض أن قصة نجاح السعودية بدأت فقط مع ظهور النفط، لكن الحقيقة التي يرويها لنا "يوم التأسيس" مختلفة تماماً وأكثر عمقاً.

نحن دولة لم تبدأ من بئر زيت، بل بدأت من "حلم وإرادة" قبل ثلاثمئة عام، في عام 1727م، وضع الإمام محمد بن سعود حجر الأساس لهوية سعودية أصيلة، كانت قوية ومنظمة قبل أن تُستخرج الثروات من باطن الأرض بقرون.

كيف بدأت القصة؟

قبل التأسيس، كانت الجزيرة العربية تعيش في شتات وخوف. لكن مع تأسيس الدولة السعودية الأولى، تغير المشهد تماماً. والإمام محمد بن سعود لم يكتفِ ببناء مدينة، بل بنى "نظاماً".

استطاع توحيد الناس تحت راية واحدة، ووفر لهم الأمن الذي كان مفقوداً.

هذا الاستقرار هو الذي جعل الدرعية تتحول إلى عاصمة قوية تجذب الناس من كل مكان.

اقتصادنا القديم..

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

لقد كان أجدادنا يعيشون حياة حيوية ومنتجة، ويؤكد المؤرخ عثمان بن بشر في كتابه "عنوان المجد"، أن الأسواق في ذلك الوقت، مثل "سوق الموسم"، كانت تنبض بالحياة، لم ينتظر السعوديون النفط ليعملوا؛ بل كانوا مزارعين مهرة، وتجاراً أذكياء يربطون طرق القوافل بين الشرق والغرب، هذه "الشخصية المعطاءة" هي التي أسست اقتصادنا الأول، وهي التي أثبتت أن السعودي يحب العمل والإنجاز بالفطرة.
هويتنا في تفاصيلنا..

هويتنا ظهرت في بيوتنا الطينية التي بنيناها بذكاء لتقاوم الحرارة، وفي أزيائنا التي نلبسها اليوم بكل فخر. وأن هذه الأزياء (مثل الدقلة والمردون والبرقع...) لم تكن مجرد ثياب، بل كانت تعبيراً عن اعتزاز الإنسان بنفسه وأرضه.
هذا الذوق الرفيع تشكّل عبر مئات السنين، وهو ما يثبت أننا شعب صاحب حضارة وفن منذ البداية.
القيم..
الكرم والشهامة والوقوف مع الجار ليست عادات جديدة علينا، بل هي "دستور" عشناه في الشدة قبل الرخاء. وتشير مصادر "وزارة الثقافة" إلى أن القهوة السعودية، وطريقة استقبال الضيف، وبناء البيوت المفتوحة للجميع، هي قيم تأسست في عمق تاريخنا، نحن شعب صقلته الصحراء ليكون شجاعاً وكريماً، وهذه الصفات هي التي جعلت دولتنا تصمد وتكبر لتصبح ما هي عليه اليوم.
في يوم التأسيس، نقول للعالم إن النفط كان وسيلة ساعدتنا على السرعة، لكن "المحرك" الحقيقي كان دائماً هو الإنسان السعودي.
نحن أمة لها جذور ضاربة في الأرض، وقصة مجدنا كُتبت بجهد الأجداد قبل ثلاثة قرون، وسنكمل كتابتها اليوم برؤية أحفادهم العظيمة.

يوم التأسيس: جذور راسخة ومسيرة وطن

بقلم الدكتور: عبدالرحمن بن ناصر الجبر

يُعدّ يوم التأسيس مناسبة وطنية تُجسّد الاعتزاز بجذور الدولة السعودية وعمقها التاريخي، فهي ليست دولة حديثة النشأة؛ بل تمتد جذورها لأكثر من ثلاثة قرون. ويخلّد هذا اليوم ذكرى تأسيس الدولة السعودية في عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م، على يد الإمام محمد بن سعود رحمه الله.
وقد شكّل الإمام المؤسس نقطة تحوّل في تاريخ الجزيرة العربية؛ إذ أصبحت الدرعية عاصمةً للدولة، وبرزت الدولة السعودية الأولى أول دولة ذات شأن في الجزيرة العربية بعد عصر الخلافة الراشدة .
وشهدت البلاد في عهده ومن بعده استقرارًا أمنيًا وازدهارًا اقتصاديًا.
ورغم انتهاء الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م فإن مسيرة البناء لم تتوقف؛ فأسس الإمام تركي بن عبدالله – رحمه الله – الدولة السعودية الثانية عام ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م، واستمر الحكم فيها على نهج الكتاب والسنة حتى عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، إلى أن تمكّن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود – رحمه الله – من استعادة الرياض عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م، مؤسسًا بذلك الدولة السعودية الثالثة (الحديثة) ، ثم أعلن توحيد البلاد عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، تحت اسم المملكة العربية السعودية، لتبدأ مرحلة جديدة من القوة والاستقرار، ننعم بثمارها حتى يومنا هذا.
وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وولي عهده الأمير محمد بن سلمان – حفظهما الله – تواصل المملكة مسيرتها التنموية، متبوأة مكانة مرموقة عالميًا، وتؤدي دورًا فاعلًا في تحقيق الاستقرار الإقليمي والعالمي.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

القيم تبني القادة

بقلم: عبير الرشيدي

فكرة الحديث عن التأسيس، تقود الاذهان غالباً إلى سرد التواريخ والاحداث، وكذلك أسماء القادة والتحالفات، غير أن مسار التأسيس في جوهره لم يكن مجرد إعلان قيام دولة فقط، وانما كان حكاية مجتمعٍ كامل يبحث عن الاستقرار ك نمط حياة، ويعمل على إعادة تنظيم منهجيته على أسس أكثر ثباتاً. وهذا ما يجعل منه سردية شعب قبل أن يكون تحولاً تاريخيًا.

ويظهر لنا قبل قيام الدولة السعودية الأولى تعددًا في الولاءات المحلية، وبعض التحالفات التي قد لا تستمر طويلاً، ونلحظ كذلك التفاوت الكبير في مستويات الأمن والاستقرار.

في هذا الإطار، لم يكن مشروع التأسيس في حد ذاته معزولًا عن الواقع المجتمعي، لكن أتى استجابةً لحاجة ملحّة لدى الشعب: الحاجة إلى الأمان، وبناء إطار جامع يتجاوز الانتماءات المحدودة.

وبرزت الدرعية حينها بوصفها مركزًا لتحولٍ لم يكن سياسيًا فقط، لكن امتدّ للبعد الاجتماعي والثقافي أيضًا. فمع نشوء الكيان الجديد، ظهرت ملامح الاستقرار تنعكس على تفاصيل الحياة المجتمعية من خلال الطرق الأكثر أمانًا، والأسواق الأكثر انتظامًا، والقضاء النزيه الذي يسعى إلى تحقيق العدل.

هذه التحولات لم تكن مجرد قرارات عليا، لكنها ردة فعلٍ حتمي يتبعه واقعًا معاشًا لمسه الناس في بيوتهم ومجالسهم بشكل عام.

وهنا تكمن الفكرة الأعمق: بأن التأسيس لم يكن بناء سلطة بقدر ما كان بناء منظومة قيم، فالمحطات المفصلية في التاريخ لا ترسّخها القوة وحدها، وانما تحميها منظومة أخلاقية تضبط السلوك وتوجّه القرار. وعليه يتجلى لنا ثبات قاعدة التأسيس على عدة معان منها على سبيل المثال لا الحصر: الثبات وعدم التردد في اتخاذ القرار، الحكمة في إدارة الأزمات، العدل في الحكم، وتحمل المسؤولية تجاه المجتمع.

وتظهر للعيان تجربة الإمام محمد بن سعود كونها نموذجًا لقيادة ارتبطت بالقيم قبل النفوذ السياسي. وحينها لم يكن دوره محدودًا في توسيع النفوذ، لكن كان ارتكازًا ثابتًا على إرساء نمط من الحكم يقوم على الثقة، وتثبيت الاستقرار، وتوسيع دائرة الانتماء من نطاق القبيلة إلى رؤية الدولة. ونتيجة لذلك تحول مفهوم القيادة إلى مسؤولية أخلاقية واجتماعية، بخلاف المتعارف عليه كونها موقع سلطة فقط.

تلقّى المجتمع هذا التحوّل، وكان أثره إيجابيًا لا سلبيًا، من خلال مشاركة العلماء والتجار والقبائل بشكل عام في تثبيت هذا الكيان الناشئ، وهو ما يعرف في علم الاجتماع ب (العقد الاجتماعي غير المكتوب) والذي يقوم على تبادل الثقة وتحقيق المصالح المشتركة، ومن خلاله تشكّلت ملامح وعي جديدة في الدولة، تستند على وعي مجتمعي جماعي، مدعوم بنظم عملية تضمن استمراره

ومن هذه المنطلق، تتجلى العلاقة بين قيم التأسيس وبناء الشخصية القيادية.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

فالقيم التي حفظت التجربة في بداياتها_الشجاعة، الحكمة، العدل، المسؤولية_هي ذاتها القيم التي تصنع القادة في كل عصر. وبناء على ذلك يتضح أن القيادة ليست مهارة إدارية فقط، إلا أنها تعدّ بنية داخلية تتشكل على محور القيم، وبناء عليه نستنتج أمر واقعي أن القائد الحقيقي هو الذي يستلهم روح التأسيس من وضوح هدفه على المدى البعيد، ويملك مهارة الموازنة بين الحزم والرحمة، وكذلك يتحمل نتائج قراراته الغير صائبة، ويضع مصلحة أفراده فوق مصلحته الفردية.

وعليه يتضح، أن يوم التأسيس لا يُقرأ بوصفه حدثًا في كتب التاريخ فحسب، وإنما يعتبر إطارًا ثابتًا في صناعة القيم وبناء السمات الشخصية القيادية وهو بهذا السياق يقودنا إلى حقيقة أن الدول تبنى حين تلتقي رؤية القيادة بحاجة المجتمع، وتتحول من خلاله القيم إلى سلوك يومي يحمي الكيان المجتمعي، ويمنحه طابع الاستمرار.

ومن هذا المنطلق يبقى يوم التأسيس في الأذهان ليس مجرد أمرًا عابرًا، لكنه مسارا تاريخي لشعب اختار الاستقرار، ومنظومة قيم وضعت أساسًا لمدرسة قيادية ما زالت تلهم أجيال الحاضر وتمهد لمستقبل واعد.

يوم التأسيس الجذور التاريخية للدولة السعودية وبناء الهوية الوطنية

بقلم: عمر مستور السفياني

يمثل يوم التأسيس السعودي محطة تاريخية مفصلية في الوعي الوطني السعودي؛ إذ يؤرخ لبداية تأسيس الدولة السعودية الأولى عام ١١٣٩ هـ / ١٧٢٧م على يد الإمام محمد بن سعود في الدرعية. ولا يقتصر هذا اليوم على كونه استذكارًا لحدث تاريخي، بل هو استحضار لجذور دولة قامت على أسس الاستقرار السياسي، والوحدة المجتمعية، والامتداد الحضاري.

وقد صدر الأمر الملكي الكريم من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود عام ٢٠٢٢م باعتماد الثاني والعشرين من فبراير يومًا للتأسيس، تخليدًا لبداية الدولة السعودية الأولى وترسيخًا للعمق التاريخي للدولة السعودية الممتد لثلاثة قرون.

أولًا: الخلفية التاريخية ليوم التأسيس

قيام الدولة السعودية الأولى

شهدت شبه الجزيرة العربية في مطلع القرن الثاني عشر الهجري حالة من التفرق السياسي، وضعف الاستقرار الأمني. وفي هذا السياق برز الإمام محمد بن سعود كقائد سياسي في الدرعية، حيث أسس كيانًا سياسيًا مستقرًا اتسم بالإدارة والتنظيم، واتخذ من الدرعية عاصمة للدولة.

وقد تميزت الدولة السعودية الأولى بعدة سمات:

بناء نظام سياسي قائم على الشورى والإدارة المحلية.

تحقيق الاستقرار الأمني في نجد.

تنشيط الحركة العلمية والدعوية.

توحيد مناطق واسعة تحت سلطة مركزية.

ويشير عدد من المؤرخين إلى أن قيام الدولة السعودية الأولى مثل بداية تحول نوعي في تاريخ الجزيرة العربية من حالة التفرق إلى حالة الدولة المنظمة.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

ثانيًا: الدلالات الحضارية والسياسية ليوم التأسيس

إن يوم التأسيس لا يختزل في بعد سياسي فحسب، بل يحمل أبعادًا حضارية وثقافية متعددة، من أبرزها:

١. العمق التاريخي للدولة السعودية

يمتد تاريخ الدولة السعودية لقرابة ثلاثة قرون تعاقبت خلالها ثلاث دول:

الدولة السعودية الأولى (١٧٢٧-١٨١٨م)

الدولة السعودية الثانية (١٨٢٤-١٨٩١م)

الدولة السعودية القائمة التي توجت بإعلان المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢م على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود. (٣)

٢. ترسيخ الهوية الوطنية

يعزز يوم التأسيس مفهوم الانتماء الوطني من خلال استحضار الرموز التاريخية، واللباس التقليدي، والهوية البصرية التي أطلقتها الدولة لتعكس القيم المتجذرة في المجتمع السعودي.

٣. الاستمرارية السياسية

يؤكد يوم التأسيس أن المملكة العربية السعودية ليست دولة حديثة النشأة، بل هي امتداد تاريخي لكيان سياسي راسخ بدأ منذ القرن الثامن عشر الميلادي.

ثالثًا: أهمية يوم التأسيس في الوعي الوطني المعاصر

مع إعلان يوم التأسيس مناسبة وطنية، شهد المجتمع السعودي تفاعلًا واسعًا على المستويات الثقافية والتعليمية والإعلامية. ويمكن إبراز أهميته في النقاط الآتية:

تعزيز الانتماء الوطني لدى الأجيال الجديدة.

إعادة قراءة التاريخ الوطني قراءة علمية موثقة.

ربط الماضي بالحاضر في ظل رؤية المملكة ٢٠٣٠.

تعميق الاعتزاز بالهوية الثقافية السعودية.

وقد أسهمت المؤسسات الأكاديمية، ومنها الجامعات السعودية، في نشر الدراسات والبحوث المتعلقة بتاريخ الدولة السعودية الأولى، مما يعزز البعد العلمي للاحتفاء بالمناسبة.

رابعًا: مشاركتي في يوم التأسيس

في هذا اليوم المجيد، أستشعر — بصفتي أحد أبناء هذا الوطن — عظمة الامتداد التاريخي الذي ننتمي إليه. إن الاحتفاء بيوم التأسيس ليس مجرد مشاركة في فعالية وطنية، بل هو وقفة تأمل في مسيرة ثلاثة قرون من البناء، والثبات والتحول الحضاري.

إن استحضار سيرة الإمام محمد بن سعود، وما تبعها من جهود متعاقبة حتى عهدنا الزاهر بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود وسمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز، يجعلنا ندرك أن ما نعيشه اليوم من استقرار وتنمية هو امتداد طبيعي لجذور ضاربة في التاريخ.

وإن مشاركتي في هذه المناسبة تتمثل في التأكيد على أهمية القراءة الواعية للتاريخ، وتعزيز الوعي الأكاديمي لدى طلاب الجامعات والمدارس على حد سواء، والإسهام في معرفة أهمية التأسيس كمرحلة مفصلية في بناء الدولة.

خاتمة

إن يوم التأسيس السعودي ليس مجرد ذكرى وطنية، بل هو تأكيد على عمق الدولة السعودية واستمراريتها التاريخية. وهو مناسبة نستحضر فيها القيم التي قامت عليها الدولة: الوحدة والاستقرار، والعدل، والتنمية. وفي ظل التحولات المعاصرة التي تشهدها المملكة، يظل يوم التأسيس شاهدًا على أن الحاضر المشرق إنما هو امتداد طبيعي لجذور راسخة ضاربة في أعماق التاريخ.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

بين العلم والكتب: قراءة في الجانب العلمي للدولة السعودية الأولى

بقلم : تركي بن سلطان القحطاني

يعد تنشيط الحركة العلمية في نجد من أبرز إنجازات الدولة السعودية الأولى، حيث استطاعت تحويل بلدة الدرعية إلى مركز إشعاع علمي في شبه الجزيرة العربية، في هذا المقال سنحاول فهم العوامل التي ساهمت في هذه النقلة.

يمكن النظر إلى الدولة بوصفها كيانًا حضاريًا يتشكل من خلال مقوماته الأساسية، ومن أبرز هذه المقومات "العلم" والاهتمام بأوعية هذا العلم وهم العلماء والمكتبات، ويُعدّ الاهتمام بالعلم من أبرز مؤشرات قوة الدولة واستقرارها.

ولقد اعتمدت في هذه المقالة على عدة مصادر ومراجع منها على سبيل الذكر لا الحصر كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون لابن بسام، و عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ، ونفح العود لعبدالرحمن البهكلي. و إحقاقاً للحق ومن باب الأمانة العلمية أن أذكر أني قد استفدت استفادة كبيرة من بحث الدكتور/ خالد بن عبدالله السعيد بعنوان " عناية أئمة الدولة السعودية الأولى و الثانية بالعلم و العلماء، وكذلك بحث " الحياة العلمية في الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى لمؤلفه عبدالله بن محمد المنيف، حيث أنهم جمعوا من بطون الكتب و الوثائق هذه المادة، و استفدت أيضاً من المصادر التي رجعوا إليها ، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

اهتمام الدولة السعودية الأولى بالعلماء ودعمهم:

دعمت الدولة السعودية الأولى، العلم والعلماء منذ بداية عهدها، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن غنام في "تاريخ نجد" أنه حين قدم الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية سنة ١١٥٧ هـ، سار الإمام محمد بن سعود إليه بنفسه ورحب به هو وأخويه ثنيان ومشاري، وابنه الإمام عبدالعزيز، ورحب به وأكرمه غاية الإكرام.

ولقد ترتب على ذلك إيواء الشيخ والتعهد بحمايته ونصرته.

وكذلك ما ذكره ابن بشر في كتابه "عنوان المجد" عن الإمام عبدالعزيز بن محمد من تشجيعه لطلبة العلم وإكرامهم، فقد كان صغار طلاب العلم يأتون إليه ويعرضون عليه خطوطهم، فمن استحسن خطه أعطاه عطاءً جزيلا.

وكذلك أمر ببناء مجمع حول مسجد البجيري، يسع مائتي رجل، وخصص جزءًا منه للنساء، تقرأ فيه الدروس بعد صلاة الفجر، وخصص كذلك مرتبات لطلبة الوافدين إلى الدرعية وبنى لهم أربعة مدارس.

كما ألزمت الدولة في عهد الإمام سعود أمراء النواحي باختيار خمسة عشر رجلاً من أهل كل ناحية وتفريغهم للعلم والتعلم وإعطائهم ما يكفيهم من الأموال، وكانت تدعم التعلم ونشر العلم، وتجعل لطلبة العلم والعلماء رواتبًا شهرية تصرف لهم من بيت المال.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

ومن صور توقيرهم للعلماء ما ذكره ابن بسام "علماء نجد" أنه حينما دخل الإمام سعود بن عبدالعزيز المدينة المنورة، لم يعاقب العالم أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي (ت ١٢٥٧ هـ / ١٨٤١ م)، وقد كان يحرض العثمانيين على الدولة السعودية الأولى، فأكرمه الإمام سعود وولاه القضاء لعلم الإمام سعود بسعة إطلاعه وعلمه.

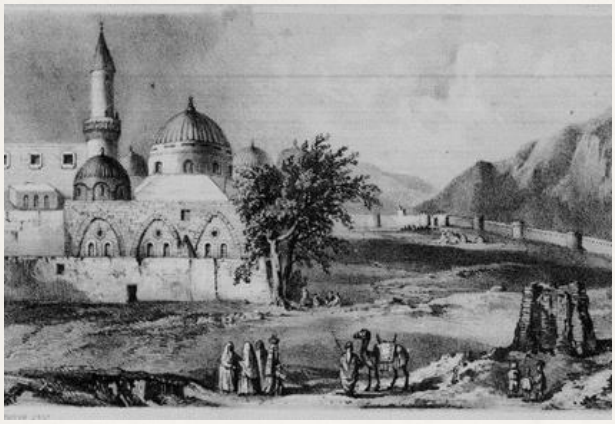

طرق تلقي العلم وأبرز العلوم التي اهتم العلماء فيها في عهد الدولة السعودية الأولى:

كان التعليم ينقسم إلى عدة مراحل:

المرحلة الأولى: تعليم الصبيان، وعادةً يكون مكان التعليم في غرف ملحقة بالمساجد، ويدرسون في هذه المرحلة القراءة والكتابة وقراءة القرآن وتعلم بعض أنواع الحساب، وليست هناك مدة زمنية محددة فهي مقترنة بقدرة الطالب وإتقانه لهذه الأساسيات.

المرحلة الثانية: لمن أراد التوسع في العلم ويمتلك المؤهلات العلمية والموهبة، فينتقل إلى حلق العلماء في المساجد ويدرس العربية والمواد الشرعية والعلمية المختلفة.

وفي عهد الإمام سعود كانت المجالس العلمية في الدرعية تنقسم إلى قسمين:

عام: يحضره الإمام وعائلته وحاشيته والكثير من الناس، وكان يعقد غالبًا في السوق لكثرة من يحضر.

خاص: وكان يعقد بعد المغرب في سطح قصر الإمام سعود بن عبدالعزيز، ويحضره خاصة الإمام.

كان أبرز علم يُدرَّس علم "العقيدة"، وقد كان تصحيح العقيدة ركيزة من ركائز الدولة السعودية الأولى، وأهتموا كذلك بعلوم اللغة والفقه والسيرة النبوية، وكذلك الفلك والجغرافيا والتاريخ، ومن العجيب أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان يحض أهل الدرعية على تعلم الرمي بالبندقية، وكذلك كانت تصنع الذخيرة في نجد مما ساهم باكتفائهم الذاتي من ناحيتها.

تحولت الدرعية إلى مركزٍ علمي في شبه الجزيرة العربية، وكانت أقرب إلى جامعة كبرى حيث الدروس تعقد في المساجد والأسواق ولأكثر من مرة في اليوم.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

الكتب والمكتبات:

أشارت العديد من المصادر والمراجع مثل كتاب "رحلة إلى جزيرة العرب" لبوركهارت، عن عناية الدولة السعودية الأولى في الكتب والمكتبات وخصوصًا الكتب التاريخية، حيث يقول بوركهارت: "وتقول التقارير، إن الوهابيين قد حملوا معهم كميات كبيرة من الكتب، لكن يقال كذلك أنهم دفعوا لقاء كل ما أخذوه".

وكذلك يصف اهتمام الإمام سعود بن عبدالعزيز بإرسال الرسل لشراء الكتب والمكتبات، ويذكر أنه بعد أن سيطرت الدولة السعودية على بعض موانئ اليمن نقلت أعداد كبيرة من الكتب إلى الدرعية.

وكانت للإمام سعود خزانة كتب واسعة تزخر بالمؤلفات.

ومن أبرز ما يذكر في هذا الباب وقف الإمام عبدالعزيز لكتاب "إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري" لأحمد القسطلاني.

ومما يدل سعة اطلاع الإمام عبدالعزيز ما ذكر في كتاب "نفح العود" لعبد الرحمن البهكلي بأنّ جوزيف رينو الرحالة الفرنسي الذي قابل الإمام عبدالعزيز، ذكر أن الإمام عبدالعزيز على حظ كبير من الثقافة والعلم.

وكان شغوفًا بالتاريخ يحفظ الكثير من حوادث التاريخ.

ويذكر فورستر سادلير في كتابه "رحلة عبر الجزيرة العربية" بأن إبراهيم باشا حين دخل بيت الإمام عبدالله وجد مجموعة هائلة من الكتب في البيت وقد جمعت وأرسلت إلى المدينة المنورة بأمر من إبراهيم باشا.

وفي بحث "الحياة العلمية في الدرعية في عهد الدولة السعودية" ذكر المؤلف أنّ العساكر المصرية أرادوا نقل كتب الإمام عبدالله إلى مصر، ولكن لكثرتها انتقوا منها عشرة أحمال وأحرقوا الباقي.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

أخيرًا، أن اهتمام الدولة السعودية بالعلم والعلماء والكتب والمكتبات حقيقة تؤكدها الشواهد التاريخية، فهي دولة قامت على نشر التعليم ومحاربة ظواهر الجهل، ولا يزال هذا الجانب بحاجة إلى مزيد من الدراسات المتخصصة.

إن تطور الجانب العلمي لدى الأمم يعكس مدى قوة استقرارها السياسي وقوة اقتصادها، وليس من العدل مقارنة الحالة العلمية في نجد وشبه الجزيرة عموماً بغيرها ممن كان في عصرها، بل يجب مقارنة هذه الحالة قبل قيام الدولة السعودية وبعد قيامها.

كان من نتائج هذا الحراك محاربة الجهل والأمية وتأليف القلوب، كما أسهم هذا الحراك في إعادة حركة تدوين التاريخ في هذه المنطقة، حيث ظهر لنا العديد من المؤرخين مثل ابن غنام وتلميذه ابن بشر، لقد استمرت رعاية الدولة السعودية للعلم والعلماء في جميع أطوارها الثلاث، فقد كان جامع الإمام تركي بن عبدالله أشبه بالجامعة، ولا يخفى على الكثير إسهامات الملك عبدالعزيز في محاربة الأمية وتوطين البادية وإرسال من يعلمهم الكتابة والقراءة وغيرها من أساسيات العلوم، وصولًا إلى هذا العهد الميمون عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز وولي عهده الأمير محمد بن سلمان يحفظهم الله، فلقد جعلوا من ركائز رؤية ٢٠٣٠ تطوير الجانب التعليمي والاهتمام به.

في الختام: إنّ العلم هو المرآة الحقيقية لقوة الأمم واستقرارها.

ثهلان
مجلة تاريخية ثقافية
1727

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

السياسة الأمنية في الدولة السعودية الأولى:
حين عاد الأمان لموطنه

بقلم: فهد القحطاني

لم تكن السياسة الأمنية في الدولة السعودية الأولى مجرد تدابير عسكرية لحماية الحدود، بل كانت منظومة حياة تهدف إلى غرس الطمأنينة في قلب الصحراء. لقد أدركت الدولة أن السيادة الحقيقية تبدأ من شعور الفرد بالأمان في ماله وعرضه، فصاغت نظامًا أمنيًا فريدًا يرتكز على العدل والرقابة، التي جعلت من الأمن مسؤولية مشتركة بين الحاكم والرعية.

بدأ هذا النظام من تأمين المواقع والمراكز الحيوية، مثلما أشار صاحب لمع الشهاب: «كان شأن آل سعود إذا تولوا بلدًا كبيرًا أو كورة بنوا حصنًا في تلك البلد على حدة عن حصنها الأول إن كان لها حصن، وبحثوا حوله خندقًا إن كانت أرضه صلبة». فكانت هذه القلاع هي الركيزة الأولى لبث الهيبة وتأمين المدن، ومنها انطلق نظام المرابطة، وهي قوات نظامية كانت توضع في المناطق الاستراتيجية والبعيدة لتكون عين الدولة التي لا تنام، تطبق مبادئ الدين والنظام بأرقى صور الانضباط، وتلاحق من تسول له نفسه قطع الطريق، حتى ذكر ابن بشر في تاريخه أن القافلة الكبيرة تخرج من الشام أو من مصر أو من اليمن، والواحد من الناس يسير بماله العظيم من غير صاحب ولا رفيق، لا يخشى أحدًا إلا الله.

وفي موازاة هذه القوة العسكرية كان هناك أمن اجتماعي يحميه المحتسب، ذلك الرقيب الذي كان يمثل الأمن الوقائي في قلب الأسواق والمجتمعات، فعمل المحتسب على منع التجاوزات قبل وقوعها ومراقبة سير المسؤولين أنفسهم، مما خلق حالة من الأمن الأخلاقي.

ومن قوة هذا النظام ما ذكره بوركهارت في عام 1221هـ الموافق (1806م) أن الشخص كان يسقط منه كيس المال في الطريق فلا يجرؤ أحد على أخذه، بل يظل في مكانه حتى يعود صاحبه ويجده كما هو. ويكتمل هذا المشهد بوجود القاضي الذي كان يمثل الملاذ الأخير، فالمواطن الذي يشعر بأي بادرة ظلم كان يعلم أن باب القاضي، ومن خلفه باب الحاكم، مفتوح دائمًا، مثلما ذكر ابن بشر: «كان القاضي إذا جلس للحكم لم يكن لأحد من الأمراء أو الأعيان تدخل في حكمه، بل كان حكمه نافذًا على الصغير والكبير والرفيع والوضيع، لا يرد أمره أحد».

وفي ختام هذا التنظيم تجلى الأمن في أبهى صورة داخل الحرمين الشريفين، حيث أمنت سبل الحجاج في مكة والمدينة، وتوافرت لهم السلع والأرزاق بأسعار رخيصة، وحرص الإمام سعود على التواصل مع القبائل في الطرق البرية وإغداق العطايا عليهم مقابل تعهدهم بعدم التعرض لزوار بيت الله بأي أذى أو فرض ضرائب عليهم. كما تم تأمين القادمين عبر البحر الأحمر بالتواصل مع أمراء المدن لضمان استتباب الأمن بشكل كامل في مكة والمدينة.

إن نجاح السياسة الأمنية في تلك الحقبة لم يكن يكمن في كثرة العتاد، بل في هيبة العدل التي سادت الأرجاء. لقد تحول الإنسان من التوجس والخوف إلى الثقة والاستقرار، وأصبح المرابط والحاكم والعامل في خندق واحد لحماية هذا الكيان. هي رحلة بدأت بتنظيم الإدارة وانتهت بسيادة الأمان، لتظل تجربة الدولة السعودية الأولى برهانًا على أن الأمن الحقيقي هو ثمرة طبيعية لمنظومة تجمع بين حزم القوة ورحمة العدل.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

عناية أئمة الدولة السعودية الأولى بشهر رمضان:

بقلم: سارة بنت عبدالعزيز الصبيحي

كانت الوحدة من أعظم إنجازات التأسيس، إذ أصبحت البلاد أكثر قوةً وتماسكًا تحت قيادة جمعت الكلمة ووحّدت الهدف، وتعزّزت الروابط بين أفراد المجتمع، وانتشر الشعور بالانتماء لكيانٍ واحد يجمعهم على القيم والمبادئ نفسها.

وانطلق الاهتمام بالدين في ظل هذه الوحدة بوصفه أساس الحياة ومحورها، فعمرت المساجد، وأقيمت الشعائر، وازدهرت مظاهر الطاعة في أجواءٍ يسودها الأمن والاجتماع، ومع هذا التلاحم ظهرت صور التكافل والتقارب بين الناس، وتجلى أثر التأسيس في ترسيخ القيم الإيمانية، ولا سيما في مواسم الخير كشهر رمضان.

وانعكست هذه الوحدة على حياة المجتمع في مواسم الخير، فكان شهر رمضان ميدانًا واسعًا تتجلى فيه صور التكافل والتراحم، فقد غدا هذا الشهر فرصة لبذل الصدقات وإخراج الزكوات والتوسع في أعمال البر، حتى أصبح فقراء نجد ومساكينها في الدولة السعودية الأولى، من الحاضرة والبادية، يقصدون الدرعية ويقيمون فيها طوال شهر رمضان، ينالون من موائدها طعامًا وشرابًا، ويجدون فيها رعايةً وعطاءً متواصلين، ثم يعودون في ختامه وقد كُسوا بالملابس وأغدقت عليهم العطايا المالية.

ولم يكن ذلك عملاً عارضًا، فقد كان نهجًا منظمًا، إذ كانت الدولة توجّه أمراء الأقاليم بالإنفاق على بيوت الضيافة في رمضان وغيره، وترسل لهم المخصصات اللازمة لهذا الغرض، فإذا بقي في بيت المال فائض بعد إرسال الصدقات إلى النواحي والبوادي، وُجّه لمن لم يتمكن من القدوم إلى الدرعية، ليصل الخير إلى الجميع دون استثناء.

وفي ظل هذه الأجواء العامرة بالعطاء، برزت القهوة عنصرًا أصيلًا في الحياة الاجتماعية لأهل نجد، ولا سيما في شهر رمضان المبارك؛ فكانت حاضرةً على موائد الإفطار، وملازمةً لمجالس الذكر في العشر الأواخر، حيث يعين شربها على القيام وإحياء الليل في جوٍ تسوده الطمأنينة والأنس، ومع مرور الزمن غدت هذه العادة من أبرز سمات الشهر الكريم، تمتد من الحاضرة إلى البادية، ويشملها الدعم والعناية؛ إذ كانت تُرسل أكياس البن، أو تُبعث النقود لشرائه، ليوزَّع في المساجد.

وقد أسهم هذا الاهتمام في ترسيخ القيم الاجتماعية، فشجّع أهل نجد على إدخال هذه المظاهر ضمن مشاريع الخير في رمضان، والتمسك بعادة تقديم القهوة، حتى أصبحت جزءًا من مشهد رمضاني تتعانق فيه العبادة مع مظاهر الكرم.

عطاءات أئمة الدولة السعودية الأولى في رمضان

تجلّت عناية الأئمة بشهر رمضان في صور مضيئة من البذل والرعاية، فقد عرف الإمام عبد العزيز بسخائه وكثرة عطائه، فكانت أياديه ممتدة بالصدقات، يفيض عليهم من الخير في هذا الشهر الكريم، ويخصّ أهل القيام بنصيب من عنايته فيرسل لهم القهوة إعانةً لهم على إحياء الليل ومواصلة العبادة في أجواءٍ يملؤها الذكر والطمأنينة.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

وفي عهد الإمام سعود اتخذ هذا الاهتمام صورةً أوسع وأشمل، فإذا أقبل رمضان تحرك مساكين نجد، قاصدين الدرعية، يعرفون ما ينتظرهم فيها من رعايةٍ وكرم، وكان الإمام يُدخلهم كل ليلة في قصره على موائد العشاء، على كثرتهم وتتابع قدومهم، فيطعمهم ويؤنسهم ويغدق على كل واحد منهم عطية، تتكون من جديدة – وهي عملة متداولة في عهد الدولة السعودية الأولى مقدارها تقريبا خمس ريالات وهو مبلغ عظيم في تلك الأيام – وعباءة، حتى تنقضي ليالي العشر وقد شملهم جميعا بهذا الإحسان.

وهكذا يظهر شهر رمضان في عهد التأسيس، حيث تتجلى فيها معاني الاجتماع حول القيادة، والتكافل الذي شمل القريب والبعيد، في صورة مجتمعٍ تحكمه قيمٌ واحدة، وممارسات توضح حقيقة التأسيس بوصفه مشروعا جمع الناس على منهج موحد، فصارت أعمال الخير فيه طريقًا لتعزيز الألفة، ومظهراً من مظاهر الانتماء لكيانٍ متماسك.

الإمام سعود الكبير ومرحلة التوسع:

بقلم : محمد بن عبدالعزيز الحنيحن

يوم التأسيس 30 جمادى الآخرة 1139هـ (22 فبراير 1727م)، ليس يومًا عاديًا لنا نحن السعوديين، بل هو يوم نشأت فيه الدولة السعودية الأولى من بيئة يسودها النزاع والجهل، واستطاعت بفضل الله ثم أئمتها نشر الاستقرار والأمن والعلم. فقد كانت دولة عظمى شاسعة المساحة، من الحديدة وحضرموت جنوبًا، وصحراء العراق وجنوب الشام شمالًا، والحجاز وتهامة غربًا، والخليج العربي شرقًا. ووصلت الدولة السعودية الأولى إلى أقصى اتساع لها في عهد ثالث أئمتها، وهو الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد آل سعود الملقب سعود (الكبير).

من هو الإمام سعود الكبير آل سعود؟

هو ثالث أئمة الدولة السعودية الأولى. وُلد الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة 1161هـ/1748م في الدرعية، عاصمة الدولة السعودية الأولى.

نشأته وتعليمه :

وُلد ونشأ في بيت الإمامة، وتربى تربية إسلامية، وتعلم القرآن والحديث والفقه وغيرها من العلوم على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

دوره في قيادة الجيوش وبناء الدولة :

كان الإمام سعود الكبير قائد الجيوش في عهد والده الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود رحمه الله، فقد خاض الإمام سعود العديد من المعارك، بدايتها في عهد والده سنة 1181هـ، وإلى استشهاد والده سنة 1218هـ، وحتى بعد توليه الحكم كان يغزو بنفسه إلى وفاته رحمه الله. وكان قائدًا شجاعًا ذا حنكة عسكرية، وقد ذكر ابن بشر في كتابه: (أما سيرته في مغازيه، فكان إذا أراد أن يغزو شمالًا أظهر أنه يريد الجنوب، وإن أراد جهة من الجهات أرى بغيرها). وكان رحمه الله لم تهزم له راية، مع أنه خاض عددًا كبيرًا من المعارك، وبسبب كثرة مغازيه واتساع دولته وقوتها لُقّب بسعود (الكبير)، ولقب الكبير لا يؤخذ إلا للقادة الأقوياء الذين أحدثوا فرقًا في التاريخ مثل الإسكندر الكبير المقدوني وكورش الكبير الأخميني.

سنة 1218هـ: استشهاد والده وتوليه الإمامة

استشهد والده الإمام عبدالعزيز بن محمد رحمه الله، وهو يصلي العصر، إذ قام رجل بطعنه غدرًا ،وكان مصير القاتل أن قُتل على يد أخي الإمام عبدالعزيز في وقتها. وبعد استشهاد والده تولى الإمامة، وأكمل مسيرته في مغازيه وترسيخ الاستقرار والأمن في الدولة.

بعد توليه الإمامة :

فقام بعد توليه الإمامة: بغزو العراق أكثر، وقيامه بمعارك ضد الشريف غالب إلى أن استطاع أن يضم الحجاز بشكل كامل سنة 1220هـ، وانضمام الحديدة وجزء من اليمن إلى حكمه سنة 1220هـ أيضًا، وفي سنة 1225هـ غزا الشام ووصل إلى جبال حوران.

دور الإمام سعود في صد حملة محمد علي باشا :

بدأت حملة محمد علي باشا سنة 1226هـ بإرسال ابنه طوسون بجيش كثير العدد والعدة إلى ينبع، واستطاع أن يدخلها. وقام الإمام بتجهيز الجيوش للتصدي لحملته، منها جيش قاده بنفسه وجيش بقيادة ابنه عبدالله. انتصرت جيوشه تارة وهزمت تارة أخرى، والمعارك التي هُزم فيها جيشه لم يكن قد قادها، إذ قام الإمام بمقاومة عنيفة ضد هذه الحملة وأوقع فيهم خسائر كثيرة، ومنها إصابة طوسون وموته بعد مدة. وبسبب قوة هذه الحملة وكثرة عددها وتطور عتادهم، كان يرسل الجيوش تلو الجيوش إلى أن مات رحمه الله سنة 1229هـ.

خاتمة :

كان الإمام سعود الكبير بن عبدالعزيز بن محمد آل سعود رحمه الله قائدًا شجاعًا ذا حنكة عسكرية، وقضى جل عمره في ساحات المعارك والقتال، من أول معركة له وهو شاب سنة 1181هـ إلى سنة 1229هـ، خاض فيها معارك كثيرة، وسّع رقعة الدولة، ووصلت الدولة السعودية الأولى إلى أقصى اتساع لها في عهده، وقضى على المتمردين ونشر الأمن والاستقرار. وقد استمر حكمه 10 سنوات تقريبًا، من سنة 1218هـ إلى 1229هـ.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

جدة مدينة التاريخ

بقلم تغريد المخلفي

حين نحتفي بيوم التأسيس، فإننا نستحضر مسيرة كفاح وبناء بدأت قبل أكثر من ثلاثة قرون تشكّلت خلالها ملامح الدولة السعودية وترسخت جذورها السياسية والحضارية. وفي هذه المسيرة تحتل مدينة جدة مكانةً بالغة الأهمية، فهي ليست مجرد مدينة ساحلية بل بوابة الحرمين الشريفين والنافذة التي أطلّت منها الدولة السعودية على العالم، حاملةً إرثًا ثقافيًا عميقًا يمتد في جذور التاريخ العربي والإسلامي.

ويمتد تاريخ جدة إلى عصور بعيدة إذ تُعد من أهم المدن التجارية الواقعة على ساحل البحر الأحمر، وقد برز دورها منذ وقت مبكر ولا سيما في العهد الإسلامي حين أصبحت منذ عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه الميناء الرئيس لمكة المكرمة، ومحطةً رئيسة لقوافل الحجاج. وقد أسهم هذا الموقع الاستراتيجي في جعلها مركزًا لتبادل البضائع والثقافات بين الشرق والغرب، ما أكسبها طابعًا حضاريًا وعمرانيًا متفردًا تشكّل عبر قرون من التفاعل الإنساني.

ومع بدايات العصر الحديث، ارتبطت جدة ارتباطًا مباشرًا بتاريخ الدولة السعودية، إذ دخلت تحت حكم الدولة السعودية الأولى عام 1220هـ/ 1805م، عقب خضوع الحجاز، للإمام سعود بن عبدالعزيز، في حدث شكّل تحولًا سياسيًا مهمًا، ورسّخ مكانة جدة ضمن إطار الدولة السعودية الناشئة.

ملامح جدة التاريخية

ولا تزال جدة اليوم تحتفظ بملامحها التاريخية، حيث تميّزت مبانيها التي شُيّدت من الحجر المرجاني، والأخشاب المزخرفة، والخوص، في انسجام مع بيئتها البحرية. وتُعد المساجد التاريخية من أبرز معالمها، ومن أقدمها مسجد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يصلي فيه عند نزوله جدة. كما يُعد مسجد الشافعي من المساجد التاريخية البارزة، وقد بُني في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وشهد عبر العصور مراحل متعددة من العناية والتجديد. ويبرز كذلك مسجد عكاش، الذي قُرئت فيه رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عام 1222هـ / 1807م، في سياق التحولات الدينية والسياسية التي شهدتها المنطقة. كما تضم جدة المسجد الحنفي، الذي كان الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- يؤدي فيه صلاة الجمعة، مما أكسبه دلالة تاريخية مرتبطة بمرحلة توحيد البلاد.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

السور والأبواب والبيوت :

ومع اتساع دور جدة وأهميتها، أُحيطت بسور دفاعي في مراحل تاريخية مختلفة، لحماية المدينة وأهلها، ويُرجّح أن يعود تاريخ بنائه إلى القرن العاشر الهجري، وقد أُزيل آخر هذه الأسوار عام 1366ه/ 1947م بعد حوالي أربعة قرون من بنائه. وكان السور يضم سبعة أبواب وقد أضيف الباب الثامن في أوائل حكم الملك عبدالعزيز -رحمة الله-، من أبرزها باب مكة وباب المدينة، ما يعكس التنظيم العمراني للمدينة آنذاك. كما اشتهرت جدة ببيوتها التاريخية التي تميّزت بزخارفها ونوافذها الخشبية، ومن أشهرها بيت نصيف الذي تأسس عام 1298ه/1881م، الذي نزل فيه الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- عام 1344ه/ 1925م عند دخوله جدة واتخذه مقراً لحكمه لفترة، في حدث مثّل مرحلة مفصلية في تاريخها السياسي.

مكانة جدة بعد الانضمام للدولة السعودية:

وقد ازدادت مكانة جدة بعد انضمامها إلى الدولة السعودية، حيث أصبحت مقراً إدارياً وسياسياً مهماً، ومن المعالم المرتبطة بهذه المرحلة قصر خزام، الذي شُيّد عام 1351ه/ 1932م واتُّخذ مقراً للحكم. كما يُعد موقع أبرق الرغامة من المواقع الأثرية البارزة، إذ نزل به الإمام سعود بن عبدالعزيز، ثم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن -رحمه الله- أثناء مراحل توحيد المملكة العربية السعودية، كان هذا الموقع يبعد عن جدة 14 كيلومتراً شرقاً، وهو الموقع الذي ارتبط بإعلان توحيد البلاد.

جدة التاريخية والتراث العالمي ورؤية 2030

وفي اعتراف عالمي بقيمتها التاريخية والحضارية، أُدرجت جدة التاريخية عام 1435ه/2014م ضمن قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو، تقديراً لنسيجها العمراني المتفرد، ولمكانتها الثقافية والاجتماعية. ولم تكتفِ المملكة بذلك، بل جعلت من جدة التاريخية جزءًا فاعلًا من رؤية المملكة 2030، بوصفها واجهةً سياحية وثقافية، ومحركًا اقتصاديًا، ومركزًا لإحياء الذاكرة الوطنية.

وفي هذا الإطار، أطلق سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان -حفظه الله- عام 1442ه/ 2021م مشروع إعادة إحياء جدة التاريخية، إلى جانب مشروع تطوير المساجد التاريخية، بهدف استعادة أصالة هذه المواقع، وتأهيلها عمرانيًا ووظيفيًا، وتعزيز مكانتها الدينية والثقافية، في تأكيد على أن التاريخ في هذه البلاد يشكّل أساسًا راسخًا لبناء الحاضر واستشراف المستقبل.

امسح الباركود لزيارة موقع المجلة :

للتواصل معنا بشأن المجلة (إرسال مقالات، استفسارات):

THAHLAN@OUTLOOK.COM